قبر ولي. هنالك يضربن صدورهن ويتوسلن اليهِ ويزعقن زعيقاً يصمُّ الآذان والرجال يركضون ويخطفون كل ما تقع يدهم عليهِ ليشدّوا بهِ القطع ووقف جمهور منهم في الماء كتفاً لكتف وجعلوا يلقون فيهِ كل ما يتناولونهُ من الابواب والاخشاب والحطب الى ان سدوا القطع . هكذا كان الناس يسدون قطوع النيل من اول عهدهم. شكرت احد الموظفين مرة على الهمة التي ابداها في سد قطع حدث سنة ١٨٨٧ فقال لي انهُ كان في سنة ١٨٧٨ وحدث حينئذٍ قطع في مت بدر فارسل اسمعيل باشا تلغرافاً يأمر بطرحهِ هو والمهندس في القطع لكن المأمور ابقاهُ اثنتي عشرة ساعة فابيضَّ شعرهُ خوفاً ثم عفي عنهُ

فاذا استخدم وادي الريان خزاناً انخفض بهِ ماء الفيضان ٣٠ سنتمتراً مدة خمسين يوماً فتضعف وطأة الفيضان العالي جداً عن البلاد كلها من بني سويف الى بحر الروم. ولا بدَّ من وضع الموازنة على فرع دمياط وجعلهِ مثل بقية الترع وحصر المراقبة والعناية في فرع رشيد (وهنا اسهب الخطيب في كيفية العناية بالنيل حتى تحفظ جسورهُ وينتفع بالرمال التي على جوانبهِ حسب طريقة المهندس ايدس الاميركي)

جبّار الاخطبوط

كتبنا منذ بضع سنوات فصلاً في الترتياس والاخطبوط ذكرنا فيهِ ان الديكابود (ذا العشرة الاذرع) قد يبلغ وزنهُ عشرة قناطير مصرية وطول كلٍّ من ذراعيهِ الطويلتين ٣٤ قدماً وان هذا الحيوان كشف سنة ١٨٧٤ على شاطي الارض الجديدة. وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور هارفي مكتشف هذا الحيوان نشرها في جريدة الرّيد ورلد وصف فيها كيفية اكتشافهِ وصفاً بديعاً. فقد روى القدماء والقصّاصون روايات غريبة عن هذا الحيوان حتى زعم بعضهم انهُ يقبض على السفينة ويجذبها الى قاع البحر فظن العلماء ان كل ما رواهُ عنهُ الراوون من قبيل الخرافات الموضوعة وان الحقيقة دون ذلك بمراحل فكبَّرها الوهم وجسمها التخيُّل واخرجها من حيز الاوهام الى ان اتيح للدكتور هارفي هذا كشف القناع عن محيا الحقيقة واظهارها للعيان

وقد تم هذا الاكتشاف منذ ثلاثين سنة ولم يمضِ عليهِ وقت قصير حتى دوت لهُ اندية العلماء وتداولتهُ الالسنة ولم تبقَ جريدة حتى نشرت تفصيل ذلك الاكتشاف . الاَّ ان ابناء هذا العصر لم يطلّعوا على تفصيل ذلك وهذا ما حدا بالدكتور هارفي الى نشر التفصيل التالي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال ما خلاصتهُ :

"في الشاطئ الشرقي من جزيرة نيوفوندلند (الارض الجديدة) خليج جميل يكثر فيه السمك فيتخذ السكان صيده مهنة لهم. وفي القسم الجنوبي من هذا الخليج جون صغير يسمى جون البرتغال باسم وطن مكتشفه

وفي السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٣ كان صيادان في زورقهما يصيدان الاسماك في جون البرتغال ولاحدهما ابن له من العمر اربع عشرة سنة وهو يدير دفة السفينة وبينما كان كلٌّ من الثلاثة منهمكاً في عمله رأوا عن بعد جسماً كبيراً عائماً في الماء فظنوه قطعة من سفينة منكسرة وجذفوا نحوه وضربه احدهم بمجذافه وللحال تحرك ونهض فوق الماء وارامم منظراً مريعاً تقشعر له الابدان وحشاً بحرياً ضارياً بعينين كبيرتين يتألقان غضباً ومنقار عظيم اعقف كمنقار الببغاء ثم انقض على الزورق وضربه بمنقاره وفي اقل من طرفة عين نشبت منه ذراع طويلة دقيقة كالحبل والتفت حول الزورق ثم تبعتها ذراع اخرى اقصر منها ولكنها اغلظ والتصقت الذراعان حول الزورق فجعل الماء يدخله واشرف على الغرق. فذهل الصيادان وايقنا بدنو الاجل الا ان الفتى لم يفقد رشده بل بادر الى فأس صغيرة كانت في قاع الزورق فرفعها وضرب بها ذراعي الحيوان فقطعهما. ولم يُعِد الحيوان الكرّة على الزورق بل تركه وافرز مقداراً كبيراً نحو ثماني اقات من سائل كالحبر رائحته تشبه رائحة المسك صبغ الماء المجاور له ثم غاص في البحر ولم يعد يرى ثانية. وعاد الصيادان بزورقهما الى الشاطئ وهما يرتجفان خوفاً واما الفتى واسمه توما يبكوت فنزع الذراعين عن القارب وعاد بهما الى الشاطئ كما يعود البطل الظافر بغنيمته ولم يخطر على باله انه اتى امراً خطيراً فرمى الذراع القصيرة الغليظة الى الكلاب تتناوشها الى ان التهمتها واما الذراع الطويلة فانه اخذها الى بيته حاسباً انها اذا جفت صارت حبلاً يربط به قاربه. وسمع قسيس القرية بتفصيل الحادثة فاشار على توما ان يبادر اليه ويريني تلك الذراع فاتاني في الصباح التالي وحكى لي القصة فاشتريت الذراع منه بمبلغ من المال فعاد يطفر فرحاً. واما انا فلم اكن دونه فرحاً وحبوراً فقد علمت انني وجدت اغرب غرائب مملكة الحيوان وان بين يديّ مفتاح سر غامض تناظر العلماء طويلاً في حقيقة وجوده منذ قرون. وتيقنت انه سيضاف بواسطة اكتشافي فصل جديد الى التاريخ الطبيعي الا ان فرحي كان يمازجه الكدر الشديد لفقد الذراع الغليظة. ولكنني كنت اعلل نفسي بانه يمكن تصوير الحيوان كله من معرفة ذراعه الواحدة فقط كما فعل كيفيه وغيره فانهم صوّروا بعض الحيوانات من رؤية عظم واحد من عظامها. على ان الحظ اعدّ لي ما لم اكن انتظره ولا احلم به كما سيجيء

وبعد ان دققت البحث في هذه الذراع استنتجت ان طول هذا الحيوان بين خمس عشرة وعشرين قدماً وان طول كلّ من الذراعين الطوال خمس وثلاثون قدماً او اربعون وعرض رأسهِ اربع اقدام وان ثقلهُ لا ينقص عن الف او الف ومئتي رطل وكان محيط الذراع لا يزيد على ثلاث بوصات ونصف الاّ انها كانت متينة جدًّا ولونها احمر ضارب الى الصفرة . وتتسع عند طرفها فتصير شبه مجذاف ويصير محيطها ست بوصات وهذا القسم المتسع مسلّح بمصات قطر اكبرها بوصة وربع وحولها اسنان دقيقة حادة . فاذا التصق المص بحيوان غرزت هذه الاسنان في لحمهِ واصبح افلاتهُ مستحيلاً . وهذه المصات في صفين في كل منهما اثنا عشر مصًّا . وهنالك ايضاً عدد كبير من المصات الصغيرة وكلها تحيط بها الاسنان الصغيرة وللديكابود ذراعان طويلتان وثماني اذرع اخرى قصيرة وهي اغلظ من الذراعين الطويلتين . وكلها اطوع لهذا الحيوان من اليد للانسان والمخلب للاسد فتنشب بسرعة البرق حتى لا يمكن للعين ان تتبعها في حركتها وتنقضُّ على الفريسة فتجذبها الى فم الحيوان فيفترسها

ولم يعد يظهر اثر لهذا الحيوان الغريب والراجح انهُ نزل الى اعماق البحر ليموت منفوداً كما تفعل الاسماك اذا اصيبت بجراح والاّ فقد هاجمتهُ رفاقهُ لما احسَّت بعجزهِ وافترستهُ لان السمك يأكل بعضهُ بعضاً من غير حساب

ولم يمضِ على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع حتى ذاع ان الصيادين امسكوا اخطبوطاً كبيرًا في خليج لوجي على ثلاثة اميال من مدينة سنت جون في الارض الجديدة . فاسرعت الى ذلك المكان فرأيت الصادين حول الحيوان وهم يريدون تقطيعهُ واستعمالهُ سماداً للارض . وكان سليمًا من كل عطب الاّ ان الصيادين اضطروا ان يقطعوا رأسهُ فاتلفوا عينيهِ . وكنت قد درست كل ما يتعلق بهذا الجنس من الحيوان فتحققت ان ليس في متحف من متاحف العالم حيوان كامل مثلهُ بل كان العلماء يرتابون في وجود ما هو كبير مثلهُ وللحال اشتريتهُ بعشرة ريالات ونقلتهُ الى منزلي ووضعتهُ في وعاء كبيرة مملوء بالماء والملح

وكان هذا الحيوان اصغر من الاول وقد ظننت انهُ انثى الحيوان الاول نفسهِ حلَّ بها اليأس حين فقدت الفها فالقت بنفسها الى التهلكة . وذلك ان الصيادين كانوا في زورق يصيدون السمك بالشباك وبينما كذلك احسوا بثقل غير اعتيادي في شبكتهم فابرقت اسرتهم وظنوا انهم اصابوا شيئاً كثيرًا من السمك ولكن لما قربت الشبكة منهم احسوا باختباط شديد فيها كاد يمزقها ويذهب بها فجمعوا قواهم وتعاضدوا على سحبها فلما بدا لهم ما فيها هالهم منظرها اذ رأوا عينين كبيرتين تتقدان غضباً حولهما اذرع كبيرة تتلوى داخل الشبكة وتخبط للتملص

منها . ثم نشبت ذراعان من هذه الاذرع وخرجت من الشبكة واهتزت في الهواء الاَّ انهما لم تصلا الى الزورق بل عادتا الى مكانهما . وقد هال الصيادين هذا المنظر واردوا ان يتركوا الشبكة وما فيها الاَّ انهم صمموا اخيرًا على قتل هذا الحيوان ليأمنوا شرَّهُ وتناول احدهم سكينًا حادةً فقطع بها رأسهُ من تحت العينين واصاب العينين فنقأهما وترك حجاجيهما فارغين وللحال انقطعت حركة الحيوان فسهل على الصيادين اخراجهُ الى البر

وقد كانت هذه الحادثة من حسنات الطبيعة وغرائب الاقدار . فان الطريقة التي بها قُبض على ذاك الاخطبوط هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القبض عليهِ من غير ان يلحق يدِ ضرر وبالقابض عليهِ اذًى

وقد قستهُ فوجدت طول جسمهِ ثماني اقدام ومعظم محيطهِ خمس اقدام ونصف قدم . ويتشعب منهُ عشر اذرع اثنتان منها طويلتان طول كلٍّ منهما اربع وعشرون قدمًا ومحيطها ثلاث بوصات . وهذه تشبه الذراع التي أُتي اليَّ بها من جون البرتغال وفيها على الطرف المتسع نحو ١٦٠ مصًّا ويبلغ طول كلٍّ من الاذرع الباقية ست اقدام ومعظم قطرها ١٢ بوصة وعلى سطحها الاسفل صفان من المصات . ويبلغ عدد كل المصات على الاذرع العشر نحو ١١٠٠ مص . ومحيط حجاج العين المنقوءة ١٢ بوصة والمنقار صلب يشبه منقار الببغاء في الانعكاف وحجمهُ كحجم الكف المقبوضة وحولهُ كيس لحمي في وسط الرأس . ويبلغ طول الحيوان من طرف الذراع الواحدة الى طرف الذراع الاخرى ٥١ قدمًا

وللاخطبوط انبوبة وراء رأسهِ واليها تُنسب حركاتهُ السريعة في الماء . وكيفية ذلك ان الانبوبة متصلة باعضاء التنفس يدخلها الماء من صمامين بواسطة تمدد جسم الحيوان . فاذا اخذ الدم من الماء الاكسيجين اللازم لهُ انضغط الجسم على الماء فاخرجهُ من الانبوبة بقوة شديدة واندفع الحيوان بسرعة . هذه هي الطريقة التي بها يسير الاخطبوط عادةً وذنبهُ مثلث الشكل يقوم مقام دفةٍ يدور بها كيف شاء ويسير بهِ الى الامام بسهولة تامة

وفيهِ كيس للحبر يفرغ الحبر منهُ الى هذه الانبوبة بقناة مخصوصة فاذا داهم الاخطبوط عدو افرز كمية من هذا الحبر الى الماء المجاور فيحيط نفسهُ بستار من الظلام الحالك يجعلهُ في مأمن من كل طارئٍ مفاجئ

وليس للاخطبوط سلسلة فقارية كما لسائر الحيوانات العليا بل لهُ لوح صلب يشبه العظم ويقوم مقام السلسلة . ويرتأي الدكتور هارفي ان الاخطبوط وحية البحر شيء واحد ويشاركهُ في هذا الرأي جمهور من العلماء الثقات فاذا صح ذلك كان للدكتور هارفي الفضل في كشف

القناع عن هذين السرين الغامضين ووضعها على اساس علمي متين

ولما كانت غايتهُ ان ينتفع العلم باكتشافهِ ارسل الحيوان الى الاستاذ ثرل في مدرسة يال الجامعة وكان هذا النوع من الحيوان درسهُ الخاص . فدرسهُ درساً مدققاً ونشر نتيجة بحثهِ فيهِ . وقد سمّى الحيوان باسم مكتشفهِ " اركيتوثس هارفايي " اي الاخطبوط العظيم

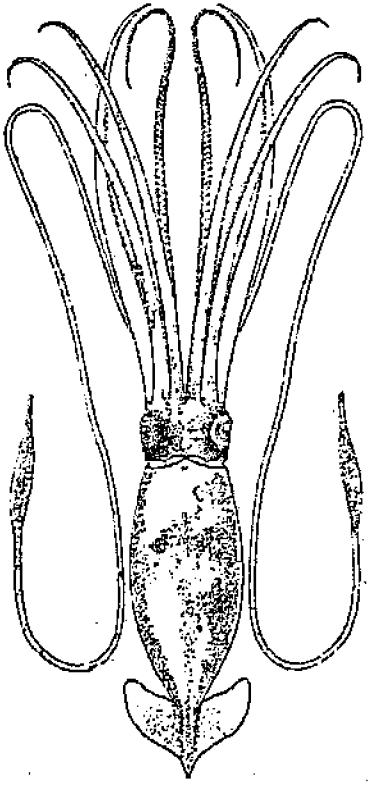

الاخطبوط الطاريل الذراعين كما رسمهُ الاستاذ ثرل

الذي اكتشفهُ هارفي . وسماهُ غيرهُ باسم " ميغاتولوثس هارفايي " تذكاراً للخدمة التي بها خدم هارفي العلم

والاخطبوط الكامل تحفوظ الآن في الكحول في وعاء كبير بمدرسة يال الجامعة . والذراع الاولى التي قطعها توما بيكوت تحفوظة في متحف مدرسة سنت جون في جزيرة الارض الجديدة